المساواة والمواساة بين المهاجرين

عيني السليمة في حاجة الى ماصاب اختها في سبيل الله

بعث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بالشريعة السمحاء الى البشر جميعاً ، غير ان قريشاً كفرت وحاربته ولاحقت الذين آمنوا معه ، فأمر الرسول بعضهم أن يهاجروا الى الحبشة ليتاح لهم عبادة الله حق عبادته ولينقلوا رسالة السماء الى بلدان جديدة واناس آخرين لا تحكمهم عقلية كفار قريش القبلية ولا عاداتهم الجاهلية ، فلم تكن الهجرة لدفع الأذى عن البعض ممن آمن وتخفيف ضغط قريش عن المسلمين كما ظن بعض دارسي السيرة بل كانت نظرة ذات افق بعيد ، ترمي في النهاية الى تقوية الاسلام ورفع شأنه .

وفشلت قريش في سعيها كي تحول بين محمد ورسالته وبين الناس ، اذ كانوا في اقبال مستمر عليها وكانوا يزدادون تمسكاً بها وقوة وعدداً يوماً بعد يوم بالرغم من كل الاسلحة والأساليب التي استعملتها ، ولم تيأس بل ازدادت حقداً وطغياناً وتجبراً . رغم ذلك كانت اعتداءاتها عليه محدودة لا تتجاوز السباب والسخرية والقاء الاوساخ والحاق الاذى به أحياناً فقد كانت تخشى بأس أبي طالب واسرته خاصة بعد أن اعلن اسلام حمزة (رض) .

لذلك كله اتجه كفار قريش الى ايذاء اصحابه بأشد مما كانوا عليه ، ولما رأى النبي أنه لا يستطيع أن يدفع عنهم الأذى أمرهم بالخروج من مكة والالتجاء الى الحبشة ، وقال لهم : أن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه فخرجوا من مكة في شهر رجب من السنة الخامسة لمبعثه في غسق الليل خوفاً من المكيين وتوجهوا الى جدة .

■ الرحيل بحراً

وحدث أن توقفت بعض السفن اثناء طريقها الى الحبشة في ميناء جدة ، فركبوها بأجر لا يزيد عن نصف دينار لكل راكب كما جاء في سيرة ابن هشام وغيرها .

وفوجئت قريش بانباء هجرة تلك القافلة المؤلفة من خمسة عشر مؤمناً بين رجل وامرأة أو يزيدون قليلاً ، وقدرت أن هولاء سيكونون رسل الاسلام في بلد تشيع فيه النصرانية التي ترامى الى أسماع قريش أن بعض رهبانها يبشرون بنبي عربي ، وخشيت أن يوجه المسلمون نشاطهم الى تلك البلاد فينشر الاسلام في أرجائها ويصبح قوة لا طاقة لقريش بها ، وقريش تعرف وتعلم أن للرسالة الجديدة سحرها في النفوس حيث رأت المسلمين يخرجون عن كل ما يملكون ، ويتنازلون عن الوطن والاهل وحتى عن نفوسهم في سبيل دينهم وايمانهم فأرسلت البعثات لتردهم الى مكة وتردعهم عن «جرأتهم» ! ولكنهم كانوا قد انطلقوا آمنين من شواطئ جدة وعجز كيد قريش عن النيل منهم .وكان بين المهاجرين الى الحبشة عبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعثمان بن مضعون ، وعدد آخر من الصحابة رضوان الله عليهم .

فنزلوا أرض الحبشة عند ملكها النجاشي الذي أكرم صحبتهم وأحسن وفادتهم . فأقاموا ثلاثة أشهر أو أكثر في أمن وأمان يمارسون فيها امور دينهم ، ويعبدون ربهم بحرية لا يخشون أحداً ، ولا يسمعون ما يكرهون . حتى جاءتهم الأخبار بزوال المحنة ومهادنة قريش للمسلمين ، وتركهم يصنعون ما يشاءون ، فاختاروا العيش في بلدهم مع الرسول ، وتركوا بلاد الحبشة وهم يحملون لأهلها أطيب الذكر والشكر متوجهين الى مكة ...

■ العودة إلى مكة

عندما أصبح ركب المسلمين قريباً منها فاجأتهم الركبان بأن قريشاً لم تزل على طغيانها وضلالها وأن كفارها هم أشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين .فعاد جماعة منهم الى الحبشة ، ودخل آخرون الى مكة تحت حماية بعض معارفهم من أهلها .. وفي جوارهم .

وكان عثمان بن مضعون ممن دخلها بجوار الوليد بن المغيرة ، ولكن عندما رأى المشركين يشتدون على ضعفاء المسلمين ويستضعفون الذين لم يدخلوا في جوار أحد ، رد على الوليد جواره ليؤاسي رفاقه بنفسه ويشاطرهم البلاء والتعذيب .

واتفق أنه كان في بعض مجالس قريش ، ولبيد الشاعر ينشدهم قصيدته التي يقول فيها :

الا كل شي ما خلا الله باطل /
وكل نعيم لا محالة زائل

فرد عليه عثمان بن مضعون قائلاً : لقد كذبت أن نعيم الجنة لا يزول فقام اليه رجل منهم فلطمه على عينه بقوة ، فأشرفت على التلف ، فعرض عليه الوليد بن المغيرة أن يعود الى جواره فأبى وقال له: إن عيني الاخرى لفي حاجة الى ماأصاب اختها في سبيل الله .

وهكذا كانت الهجرة مدرسة لتربية المضحين ، وقاعدة أمنت للمسلمين في فجر الرسالة أرضاً لنشر الدين والتبشير به في أوساط جديدة ، ولا تزال شرق أفريقيا تشهد لهذه المدرسة حتى اليوم ، كما أن الأثر السياسي الذي أحدثته الهجرة الاولى للحبشة كان مقدمة للهجرة الثانية التي كانت أكثر عدداً وجاءت في ظروف أصعب كانت تمر بها الرسالة الاسلامية وأتباعها الجدد .

وتبين لنا حادثة فقد عثمان بن مضعون (رض) لعينه كيف يواسي المسلم بقية قومه من المسلمين بنفسه ولا يرضى أن يحصل على أمان لنفسه بينما يتعرض اخوته للتقتيل والتشريد ، وكم حري بامة المسلمين أن تتذكر سيرة رسولها العظيم وأصحابه الكرام فتسير على طريقهم وتنتهج صراطهم في مثل هذه الأيام التي تواجه فيها امة الاسلام الخيرة المصاعب والخطوب من كل حدب وصوب □